المؤرخ الدكتور جواد علي وجهوده العلمية

ايمان سالم الخفاجي
عنوان الكامل : قسم التاريخ، كلية التربية، جامعة بغداد، العراق.
(تاريخ القبول بالنشر: 8 أيلول 2013)

الملخص:
يعد المرحوم الدكتور جواد علي احدابرز المؤرخين في العصر الحديث اللذين اثروا المكتبةالعربيةبمجموعةقيمةمن البحوث والدراسات التاريخيةوالادبيةالرصينة،فكان علما كرس حياته للبحث المتعمق والعمل في كشف المجهول واجلاءالغوامض،في ميدان التاريخ العربي الاسلامي وقدتخصص في تاريخ العرب قبل الاسلام وتعمق فيه واشتهربه،حتى بلغ فيماالف فيه الغاية تقصيا وتحقيقا والتزاما للمنهجية وقدركز جهوده على تاريخ العرب قبل الاسلام فاستوعب مصادره وما كتب فيه في العربيةواللغات الاخرى ،وكان ثمرة انتاجه الغزيرالاصيل ما تركه للاجيال من بعده، واولى اهتماما خاصا بالعربية القديمة وتاريخ اليمن قبل الاسلام واستوعب في ذلك النقوش والكتابات القديمة ثم افند بابحاثه الى العصر الاسلامي فتالق فيه وهو في الميادنين نال الريادة في المنهجية العلمية وعرض الافكار ووجهات النظر والتحليل والتفسير والنقد فاستحق في نظري لقب فيلسوف التاريخ العربي وان مكانة اي مؤرخ او عالم تبرز من خلال كتاباته ومؤلفاته وكتبه ونرى لدى جواد علي غزارة في المجهود العلمي وقد تناولت من خلال هذا البحث ابرز كتاباته وبينت مجهوده الثر وجهوده العلمية.

المقدمة

التاريخ يدعو دوماً إلى الالتفات للنتاج الفكري للأمة والإفراد، والتاريخ مرغوب فيه عند كل الأمم والأقوام...ويلاحظ أنه ما من أمة في الأرض قبل العصور الحديثة كتبت من التاريخ وألفت المؤلفات الصحيحة، وقدمت المصنفات الكثيرة، وسجلت دقائق ما عاشت فيه من الأحداث، مثل الأمة العربية والأمة الإسلامية.

ولقد لقيت الحضارة الإسلامية العربية وغيرها اهتماماً كبيراً من المستشرقين وكتّاب الغرب في مختلف العصور، وقد اشبعوا كثيراً من نواحي الفكر الإسلامي بالدس العميق والتحليل المفصل، وقبل هذا الاهتمام لقت الحضارة العربية حتى قبل الإسلام اهتماماً وافراً تركز على الجانب الاجتماعي والأدبي والعلمي، وفي الحالتين فإن الكّتاب إن التقوا في أساليبهم التحليلية، وطرائق بحثهم، فقد اختلفوا في مقدار نزاهتهم، ودرجة إنصافهم، فمنهم من مال مع الهوى فنصح قلمه بالدس والكيد، ومنهم من حاول التجرد عن الهوى فأعترف قليلاً أو كثيراً بالحق، ومع ذلك يجب أن نعترف بأن المستشرقين – عموماً – تميزوا بالدقة والقدرة الفائقة على عرض المعلومات بعد هضمها وتحليلها.

والذي دفعني إلى اختيارجواد علي نموذجا لمؤرخي العرب والمسلمين المعاصرين تفرده بمنهج فذ في كتاباته كافه تغلب عليه روح العلمية والحياديه والتواضع والاعتراف بجهود الاخرين مع اتاحة الفرصة لجهود الباحثين في المستقبل،فضلا عن ان ميدان موارده كان من السعة والشمول ما اكسبه الاحاطة في دقائق الامور ومن وجهات نظر مختلفة ومتباينة قربت كتاباته من الحقائق الموثوقه،وهذا ما توافق مع طموحي في اغناء المكتبة العربية الاسلامية بشكل عام والمكتبة العراقية بشكل خاص بالكتابة عن صفحات الحضارة الإسلامية وما حوته من تطورات سلبية وايجأبية ،ولما كانت منهجية جواد علي تتسم بالحياد في دراساته لتاريخ امته العربية الاسلاميه، فقد اقتضت منه الامانه العلميه ان يسير بخط متواز مع كل الاحداث وفي كل الظروف ،مما اوصله الى نتائج اما مستقرة او انه فتح فيها بابا لغيره من القادمين من الباحثين .

بذل جواد علي جهوداً متميزة في التعرف على محتويات المكتبة الغربية بشقيها من المؤلفات العربية الاسلاميه التي احتفظوا بها بشتى الوسائل وما كتبه المستشرقون والباحثون منهم فأبحر في صفحات هذا التراث مستقصياً تفاصيل الكلام وأهدافه وأوجز ما في بطون الكتب ليخرج بنا إلى ما توصل إليه في نتاجاته وفي موسوعتيه (تاريخ العرب قبل الاسلام) و(المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام).

يعد جواد علي من كبار المؤرخين العرب المعاصرين والبارزين بمؤلفاته الرصينة وأبحاثه القيمة التي أكسبته هذه الشهرة والمنزلة الرفيعة بين الباحثين على الساحتين العربية والعالمية. وصفت شخصية جواد علي بعذوبة الحديث فضلا عن حمله هموم بلده وشعبه في القضايا العامة والمسائل التاريخية خصوصا وكان الجميع معجبين بآرائه في تحليل الإحداث التاريخية حيث كانت آراؤه علمية موضوعية وليست سردية سطحية.

ومن آرائه التي نالت اعجاب المقربين اليه وقارئي انتاجه الفكري ،تحليله لاسباب هجرة الكفاءات العلمية العراقية الى الخارج في حوار صحفي جاء فيه :

إن أسباب هجرة الكفاءات العراقية، هي أسباب علمية واعتبارية وليست أسباب مادية بحتة؛ لكون أصحاب الكفاءات قصدوا جامعات أجنبية ذات أساس علمي رصين سبيلا للبقاء في أجواء علمية وأكاديمية عالية المستوى إلى جانب توافر الإمكانيات اللازمة لإجراء البحوث والدراسة من أجهزة حديثة وكتب ومجلات علمية، وهناك عامل ثان ومهم، هو إن الباحث العلمي العائد من الخارج قد يعود ويجد الجامعات تفتقر إلى ابسط المتطلبات الدراسية والإمكانيات العلمية التي يحتاج إليها الأكاديمي العراقي، وقد يجد المسؤول عنه لا يفقه شيئا في علمه أو إدارة منصبه، وتعامله مع رعيته فيشد الرحال الى حيث أتى، حيث يجد الآفاق الرحبة في تلك البلدان .

يكاد ان تتلازم مكانة جواد علي العلمية مع جهوده المبدعة في دراسة تاريخ العرب قبل الاسلام وقد رحل فيها إلى اليمن والى أطلال حمير وسبأ وقتبان، وكان يفكر أكثر مما كان يسجل، كان ينقل لنا أجزاء ممتعة من رواية العرب في التاريخ والآثار واللغات الجنوبية وفن البناء والحياة الاقتصادية والدينية والاجتماعية وعلوم الحساب والجغرافية والأنساب وغيرها، وكل ما كان يشيدونه في حواضرهم.

عصره وتكوينه الفكري

عاش جواد علي القرن الرابع عشر الهجري واول القرن الخامس عشر الهجري/ الموافقين للقرن التاسع عشر الميلادي. (ولد ١٣٢٥-١٤٠٨هـ/١٩٠٧-١٩٨٧م) في عواصف كبيرة أدت إلى حدوث تغير في حياته كان لها الأثر من جميع النواحي السياسية والعلمية والاقتصادية والاجتماعية ولعل التلازم بين السياسة والتاريخ دفع بالعلامة جواد علي للتعاطي بالشؤون السياسية في العراق والمانيا من خلال مقالاته الشخصية ومقابلاته لذوي الشأن، وحضوره مجالس الادب العامة.وكانت المرحلة التي عاشها مفعمة بالاحداث والمتغيرات فقد عاش احداث الحربين العالميتين (١٩١٤م-١٩٣٩م) والثورة الروسية ١٩١٧م، وتقاسم الدول الاوربية الوطن العربي كمناطق نفوذ بعد الحرب العالمية الاولى والثانية وقد بلغت ذروتها في اغتصاب فلسطين، وقيام دولة اسرائيل سنة ١٩٤٨م وسقوط الدولة العثمانية سنة ١٩٢٤م ، والحروب العربية الاسرائيلية من ١٩٤٨م-١٩٧٣م ،ثم الحرب الاهلية اللبنانية ١٩٧٥م-١٩٩٠م ،واخيرا الحرب العراقية الايرانية ١٩٨٠م - ١٩٨٨م.

وحيث ان جواد علي قد عاش نشأته الاولى بين مدينتي الكاظمية والاعظمية اللتين عرفتا بخصوصية دينية وثقافية ساعدت الى حد بعيد في حيادية جواد علي وعمقت فيه روح البحث والتحليل والتدقيق وكشف المجهول ،فتوجه الى التعرف على احوال العرب قبل الاسلام وبعده منطلقا من شعوره بقوميته العربيه ومفتشا عن اسهامات العرب في بناء صرح الحضارة الانسانية وقد ظهرت عليه علامات الابداع في التأليف بتاريخ الامة واحداثها اليومية وحضور محافل الادب بعد ان ادرك اهمية التاريخ وقال فيه :"الامة تنمو في تاريخها

،وعلينا ان ننزه هذا التاريخ من التهم ،وما لحقه من الاساءة " (١) .

من هنا كانت باكورة اعماله حينما الف كتابه (التاريخ العام) وهو لم يزل طالبا في المدرسة الثانويه ،وحينما نال التقدير والاستحسان على جهده اندفع في تكثيف نشاطه في كتابة المقالات ونقد الكتب في الصحف آنذاك .

وهو يرى ان الصحافة موهبة كالشعر والصحفي كالشاعر ،اذا لم تكن لديه قابلية على الشعر ،ولم يتمتع بالحس المرهف ،فأنه لايستطيع ان يكون شاعرا حتى ولو نظم ما شاء من القصائد ،كذلك الصحفي لايكون صحفيا ان لم تكن لديه الموهبه والهوايه . ولما اثبت الجدارة الصحفية فيما كتب من المقالات المختلفة في صحف عراقية متعددة (العراق، النهضة، اليقظة، الزمان، البلاد، الاخبار) دفعته الرغبة فقدم طلباً الى وزارة الداخلية لأصدار مجلة بأسم (التلميذ العراقي)، لكن الوزارة رفضت طلبه بحجة كونه تلميذا في مرحلة الدراسة.

وسع جواد علي دائرة مشاركته الثقافيه باتجاه الدول العربية بأسلوب (تقريض الكتب ونقدها) منها تقويمه ونقده لكتاب (ضحى الاسلام) لاحمد امين، وقد نشر في جريدة (الطريق) لسنة ١٩٣٣م في العدد ٩،وكان قد تعرف على احمد امين حينما زار العراق في ثلاثينيات القرن الماضي على رأس وفد الجامعة العربيه، وحضر بعض خطبه ومناظراته مع علماء العراق حول موسوعته المشهورة (فجر الاسلام،ضحى الاسلام،ظهر الاسلام،يوم الاسلام).

ثم تهيأت له فرصة اخرى في نقد موسوعة احمد امين نشرها في مجلة (الثقافة المصرية) التي كان يشرف عليها احمد امين، كذلك نشر بعض المقالات في مجلة(الرسالة المصرية) التي اصدرها احمد حسن الزيات في الثلاثينيات ،وكان قد تعرف على الزيات حينما انتدب لتدريس الادب العربي في العراق بدار المعلمين العالية سنة ١٩٢٩م وكان حينها جواد علي في الصف الاول .

وكانت مجلة الرسالة احدى منابر الوعي الفكري العربي آنذاك يكتب فيها عمالقة الادب العربي كالمازني والعقاد ،الامر الذي عزز علاقة جواد علي بهؤلاء الرواد فكانت له زيارات مشتركة برفقة الزيات لعباس محمود العقاد في داره بالقاهرة .

وما من شك ان اشتراك المرحوم جواد علي في هذه المجالس الادبية العراقيه والمصرية قد صقلت مواهبه واكسبته خبرة ورصانة في الرأي والكتابة

– مكانته اللغوية:

كان جواد علي يتقن اللغة العربية والالمانية والانكليزية والفرنسية وقد حصل على شهادة باللغة اللاتينية صادرة من جامعة برلين– قسم الفلسفة وله بحوث وكتب عديدة ووثائق في الالمانية الانكليزية وكانت شهادته (اطروحة دكتوراه) من هامبروغ بدرجة امتياز في الامتحانين الشفهي والتحريري، وهي تعادل سبعة سنوات بعد الثانوية [٣]

كان عالماً بلغة اهل اليمن القديمة السبابة والحميرية واستاذا متمرسا في المخطوطات العربي(٤) وله علم باللغات اليمنية الجنوبية وكان اول من كتب عن موارد تاريخ الطبري تصلح أن تكون كتابا أو مجلدا [٥]، وقد أسس في اليمن (مجلة اليمن الديمقراطية)[٦].

– الشاهد البلاغي في كتابة المؤرخ جواد علي:

أن براعة جواد علي تظهر بصور عديدة كاستخدام الاساليب السلسة

واستخدام الوان من الفن البديع على اختلافها التي تزين الكلام وتجعله سلسا عذبا ليس فيه تعقيد لغوي أو لفظي أو دلالي.

والمؤرخ الجيد هو الذي يهتم بمقدمة وخاتمة كتاباته، وهذا مالا حظناه سواء في كتاب مؤرخنا (المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام)[٧]سواء مقدمته،أو خاتمة كتاباته فنراها عذبة اللفظ وحسنة السبيل وصحيحة المعنى بحيث تبقى عذوبة في الكتابة، ولذلك سميت النهايات الجيدة في كتابات المؤرخين (حس الختام).

- **آثاره العلمية المتميزة**

يعد جواد علي احد ابرز المؤرخين في العصر الحديث ،الذين اثروا المكتبة العربية بمجموعة قيمة من البحوث والدراسات التاريخية والادبية الرصينة ،فكان علما كرس حياته للبحث المتعمق والعمل في كشف المجهول واجلاء الغوامض ،في ميدان التاريخ العربي والاسلامي .

ومن خصائص اخلاقه الحميدة انه يتحلى بالجدية والالتزام والاتزان ،والحرص على اداء الواجب والخلق الرضي ،اتسم بحب الخير والتعاون والتواضع والاسهام المخلص بكل عمل علمي بناء .

ويصف لنا المرحوم الاثري انسانيته فيقول :جملة حال جواد علي انه كان انسانا صاحب استقامة وجد واجتهاد ،وترفع واباء،وصدق ووفاء ،وحسب الانسان ان يكون وفيا ،فكيف اذا حتم لوفائه ماذكرت من خصاله ؟ .

اما جواد علي المؤرخ الذي تخصص في تاريخ العرب قبل الاسلام وتعمق فيه ،واشتهر به ،حتى بلغ فيما الف فيه الغاية تقصيا وتحقيقا والتزاما للمنهجية وقد ركز جهوده على تاريخ العرب قبل الاسلام فاستوعب مصادره وما كتب فيه في العربية واللغات الاخرى ،ونظر فيه نظرات ثاقبة ،وكان ثمرة ذلك انتاجه الاصيل والغزير .

وأولى اهتماماً خاصاً بالعربية القديمة ،وتاريخ اليمن قبل الاسلام واستوعب في ذلك النقوش والكتابات القديمة ،ثم رجع بابحاثه الى العصر الاسلامي فتألق فيه،وهو في الميدانين نال الريادة في المنهجية العلمية وعرض الافكار ووجهات النظر والتحليل والتفسير والنقد،فاستحق في نظري لقب (فيلسوف التاريخ العربي)(٨) وان مكانة اي مؤرخ او عالم تبرز من خلال كتاباته ومؤلفاته وكتبه ونرى لدى جواد علي غزارة في المجهود العلمي وفيما يأتي ابرز كتاباته :

١- التاريخ العام ١٩٢٧م.

٢- صورة الارض (خارطة العالم الادريسي) ،بغداد١٩٥١م .

موسوعة تاريخ العرب قبل الاسلام انجزه خلال عمله في المجمع العلمي العراقي في الحقبة الاولى ،طبع في مطبعة المجمع العلمي بثمانية اجزاء سنة١٩٥١م-١٩٦٠م .[٩]

من كتاباته النص المسرحي مثلنا الاعلى:

ولم يقصر في جهوده التاريخية أو اللغوية بالتأريخ انما كتب أيضاً في كل النواحي المعرفية أيضاً ومن الطريف أن نجد له نصا مسرحيا يجسد فيه النبض الوطني في عصره، وقد حملت المسرحية عنوان مثلنا الاعلى وقد عثرت على هذه المسرحية بين رفوف مكتباتنا وتعد اقدم ما طبع للدكتور جواد علي عندما كان يشغل منصب ملاحظ تحرير في وزارة المعارف في سنة ١٣٥٢هـ - ١٩٣٤م وهذا المطبوع المسرحية وضعها عبد المجيد عباس المعلم في مدرسة تطبيقات دار المعلمين سابقا، وهذبها الاستاذ اكرم زعير مدرس التاريخ بدار المعلمين وعني بتصحيحها وطبعها جواد علي بموافقة وايعاز وزارة المعارف، وطبع في مطبعة الحكومة ببغداد عام ١٩٣٤م أي انه كان قد ألفها قبل حصوله على شهادة الماجستير والدكتوراه من المانيا [١٠]

- ارآءه وفلسفته في التاريخ

تمخضت بعض الاراء والافكار والثقافات لدى جواد علي من خلال دراساته المعمقة والمبنية على النقد والتحليل والاستنباط ذكرها في أثناء مؤلفاته وأكدها في المقابلات واللقاءات التي اجراها معه بعض الكتاب والصحفيين ، يمكن اجمالها بالآتي :

١- مذهبه في التاريخ

يرى جواد علي ان التاريخ (معرفة انسانية) وليس علما كالعلوم الطبيعية التي تحكمها القوانين والقواعد والتجربة ، وهو لايتفق مع الفيلسوف (وند) الذي يرى ان للتاريخ قوانين تختلف عن القوانين الطبيعية ، وانها ليست في درجتها ومنزلتها . ويستبعد رأي المؤرخ الالماني (برايزك) الذي يضع اربعة وعشرين قانونا للتاريخ ،ويقول انها تسد الباب بوجه من يفرق بين هذه القوانين وبين القوانين الطبيعية.

فيما يذهب جوادعلي الى ان ثمة فرق بين قواعد يستنبطها الانسان من الشك والتجربة وسلم بها العقل في العلوم الطبيعية، وبين قواعد يستنبطها الانسان من مجرد التفكير والاجتهاد بدون تجربة وبحث في السببية وفي صلة العلة بالمعلول

فهو يرى التاريخ وجهة نظر ،وكل يفسر الحادث حسب رأيه ، وكل يرى في التاريخ ما يريد ، فهو (معرفة انسانية) لانه يحتمل وجهات النظر .

لكنه يحتاج المؤرخ الناقد لا المؤرخ الناقل ؛ لان كثيراً من الروايات نقرؤها ونكتبها على انها صحيحة تخرج بعد دراستها ونقدها علميا بنتائج معاكسة [١١].

وهو من جانب آخر يتريث في اطلاق الاحكام ، لانه يعتقد ان العجلة في الاحكام ملهاة عابثة في طمس الحقائق الاخرى التي لم تكتشف بعد، وهذا الرأي شكل منهجه في جرأة الرأي والتواضع العلمي في التأليف ، فلطالما رفع شعار انه طالب علم .

وثمة جانب في هذا المعنى يراه جواد علي وهو ان: المعرفة التاريخية تتناول كل ما يمكن ان تتناوله عقلية المؤرخ مما له صلة بالتاريخ، على ان يتناول هذا التاريخ الاشراقات الخارجية للشيء الذي يبحث عن تاريخه ،بمعنى انه لايبحث عن ماهية الاشياء وانما حدوده الكيفية ، وحدود المعرفة التاريخية تقررها نتائج الباحث[١٢] .ويضرب مثلا على ذلك بقوله ان تاريخ الانسانية لايبحث جسم وفسلجة الانسان وانما يبحث تطور الانسان والادوار التي مر بها .فيما يشخص حالة التاريخ التي كتب فيها المؤلفون العرب، بأنها تأليف جامعي او تأليف عام ،ولم تظهر بعد مدرسة عربية تاريخية ذات اسلوب ثابت كالمدارس الاستشراقية، ومنها الالمانية التي تمتاز بالتعمق والدقة.

والمؤرخ العربي في رأيه لازال مرتبطا برأي محيطه وبوجوب مراعاة شعور الرأي العام (بتقديس التاريخ) ،لذلك فهو لايعرف في الوقت الحاضر مؤرخا في الوطن العربي فلسفة تاريخه على نمط المؤرخين العالميين من اصحاب المدارس الخاصة بفلسفة التاريخ .وهو ينصح الجيل الجديد من المؤرخين العرب الذين تحسنوا في الاسلوب وفي تفسير التاريخ والذي يبحث عن المدرسة العربية التاريخية، ان يتجه نحو تحقيق المخطوطات ونشرها وقراءة النصوص القديمة وترجماتها ،ويجب ان يتجه الى البحث عن التراث العربي الاسلامي في المباني والفن ،عندئذ تولد عندنا مدرسة مستقلة في التاريخ .

- **اخلاقه وصفاته الشخصية**

لعل من افضل ما وصف به جواد علي بشأن سجاياه واخلاقه ما جاء على لسان استاذه محمد بهجت الاثري ، فقد رافقه منذ كان تلميذا عنده في (كلية الامام الاعظم) في الاعظمية ويقول في ذلك : ان صلتي بجواد علي او صلة جواد علي بي صلة قديمة. بدأت في صدر شبابي وشبابه على مقاعد الدراسة ،واستمرت الى مقاعد المجمع العلمي في خدمة العلم الانساني وتاريخ العرب والاسلام ، في صفاء دائم واستحكام أصرت فرضهما خلوص النيات والتجرد في مسعاتنا في سبيل اعلاء شأن الأمة .

بدأ مع اخيه وصفي محمد علي الرحلة في طلب العلم والاستزاده منه ، من مدارس مسقط رأسيهما (الكاظمية) الى جارتها على الجانب الشرقي من دجلة (الاعظمية) حيث استقبلتهما (كلية الامام الاعظم) واشبلت عليهما من افاويق من علوم العربية والعلوم الاسلامية على مستوى الدراسات الثانوية ،ثم سما بهما الطموح فأنتقلا الى بغداد حيث الثانوية المركزية .

حيث كان الاثري يدرس (النحو والصرف والبلاغة وتاريخ الأدب العربي وصناعة الانشاء) في نحو الثلث الاخير من العقد الثالث من العمر .

يقول الاثري :واحسب أن الأخوين النجيبين كانا في مثل سني .

كان جواد ووصفي تلميذين نجيبين من خيرة التلاميذ النجباء أدبا وتهذيبا وجداً وحسن تلق واحتفاء بالدرس والحفظ . أمضيا معا عامين تأهلا بهما للأنتماء الى الكليات ،فدخل وصفي كلية الطب وانتمى جواد الى دار المعلمين العالية [١٣]

أما بخصوص اخلاقه وسلوكه الاجتماعي وآدابه النفسية وخصاله فقد ارتسمت منها في ذهني صور جميلة كثيرة ، ومنها صور أعدها مثاليه تزيد وزن حسناته ثقلاً ،أعُدُ منها ولا أُعدِدُها : السماحة النفسية وسماحة الخلق ، وقد وجدته ينظر للحياة بمنظارها ويسير على هديها وتسديدها في تصرفه وعلائقه بالناس متفتحاً للخير ومترفعاً عن الصغار والسفساف

والعقد النفسية .وجدته يتحلى بالود الصادق لمن يود ،لامماذقاً ولامرائياً ،فكان لي الصديق الدائم العهد، والاخلاص الوفي، يفي للصديق حاضرا وغائبا .

الكلمة عنده واحدة يقولها صريحه وواضحة ويعنيها ولايوارب ولايخادع ولايخفي في نفسه معنى غير معناها . كان مطبوعا على الجد صارم الارادة ، وكان الالتزام من اهم نوازعه، يرى الاخلال به عيبا وخيانة ، لذلك لم يتخلف عن جلسات المجمع وهو مقرر لجنة (التاريخ والحضارة) وهو في اشد حالات ضعفه الصحي الا في جلسته الختامية بعد أن اقعده المرض والزمه الفراش ثلاثة اشهر وهو يفقد من حركته يوما بعد يوم حتى وافاه الأجل بعد آذان الظهر من يوم السبت ٣ صفر ١٤٠٨هـ/الموافق ٢٦ آب ١٩٨٧م. ومن خصاله تواضعه في العلم ، فقد ظل طوال حياته وهو يرتقي سلمه يعد نفسه طالب علم ، وظل وفيا له ولمن علموه ،ويسجل لمن نفعوه بشيء من علمهم في مطالع كتبه ما نفعوه به ، في كثير من التواضع والأدب اداء للأمانة وصدقا في التعامل.

ومن كرمة نفسه عليه انه كان لايتكلم في علم يرى الحاضرين غيره أعلم به منه ، ويعجب ممن يثرثرون في مناسبة وغير مناسبة بما لايعلمون،كما كان يعجب من انسان يتصف بالعلم ، ويتخذ لحياته وسيلة غيره يزدلف بها لنيل حظوه او مكسب مال ولايترفع .

وجملة حال جواد علي انه كان انسانا صاحب استقامة وجد واجتهاد وترفع واباء وصدق ووفاء ، وحسب الانسان ان يكون وفيا، فكيف اذا ضم الى وفائه ما ذكرت من خصاله [١٤].

وانه لو استعرضنا كتبه نستدل على انه كان ذكيا عميق التفكير واسع الاطلاع، واضح التعبير، ويدل على تنوع كتبه قبل الاسلام- في الاسلام، الادب، اللغة، الفلسفة، الجغرافية، التاريخ، السير، التراجم، الفقه، تاريخ العلوم، المخطوطات، الخرائط، كان في تصرفاته كما في كتاباته صريحاً واضحاً حازماً دقيقاً لا يحجزه عن ذلك كله حاجز.

برز فيه الوفاء والامانة للعلم والناس ومع كثرة مؤلفاته وتنوعها فانه لم يكن يستعين باحد في اعدادها وموادها وترتيبها، بل كان يستعين باستاذه الشيخ محمد بهجت الاثري في ابداء رايه وقراءته لمسودات كتاباته كما ذكر ذلك في مقدمة المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام.

وكان يمتنع عن مشاركة الشخصية التي يكتب عنها أو مخالفتها الراي إلا اذا كانت القضية بالغة الاهمية بالنسبة اليه ويحكم على الشاعر بشعره، ولا يحكم على الشعر بقائله، كما انه لا يحكم على الشعر بزمنه بل بخصائصه [١٥]ويتبين ذلك من خلال كتاباته فمثلا يقول:

ويبين أن دراسة التاريخ والمؤرخين أو موازنتها الشخصية بغيرها يحتاجان إلى انصاف ونظر.

وأحيانا لا يتسرع بالحكم فمثلا يقول: يذكرون اهل السير أن الرسول كان يخرج إلى الكعبة أول النهار فيصلي صلاة الضحى وكانت صلاة لا تنكرها قريش وكان اذا صلى في سائر اليوم بعد ذلك قعد علي أو زيد (ﷺ) يرصدانه أما (امية بن ابي الصلت) فقد وردت في شعره معربان من اصل سرياني يظهر انه اخذها من المنابع النصرانية فقد ذكر انه كان قد قرأ كتب اهل الكتاب ووقف على اخبارهم وعقائدهم، ومن المعربات الواردة في شعره لفظة (تلاميذ) جمع تلميذ كما في الشعر المنسوب اليه:

والارض معقلنا وكانت امنا وبها تلاميذ على قذفاتها
فيها مقامتنا وفيها نولد حبسوا قياما فالغرائص ترعد

وهذا الخبر أن لم ينص على وجود صلاة الضحى عند الجاهليين يشير إلى أن قريشا كانت تعرف الصلاة (الضحى) لذلك لم تنكرها وتركت الرسول يصليها، واقول: تعرفها، ولا اقول تصليها لأني لا اريد أن اكون متسرعا فأحكم حكما قاطعا استنادا إلى خبر غامض يحتاج إلى وضوح[١٦]

الثقافة واثرها العلمي في كتاب جواد علي

كان لبيئة جواد على اثر في توجهه العلمي حيث كان يسود المدينة نشاط علمي خاص في علم الحديث والمغازي والتاريخ فكانت الكاظمية المدينة المقدسة مقر النقدةَ والحفاظ

والمجتهدين، ومحط طلاب العلم الذين نهلوا العلم منها، فتلقى العلم من اجوائها الروحية والثقافية على يد شيوخ واساتذة وعلماء فطاحل.

كان لتفوق جواد علي الثقافي عدة اسباب منها:

١- قوة ذاكرته.

٢- استعانته بالكتابة وحبه للعلم وتلمسه اينما كان.

٣- لم يوقفه حب العلم من الاخذ من الكتب فقط بل قام بدراسته الميدانية إلى مواضع المواقع الحربية والاثار الجغرافية واثار المخطوطات، والكتابات والمدونات أينما كانت وفي أي دولة فكان دائم الترحال للمناطق العربية، والعالمية فكان يحط في ترحاله المكان الذي يجد نفسه فيه.

ولهذا تفوق جواد علي علميا وتاريخيا ونال شهرة واسعة في حياته وبعد مماته[١٧]

طبيعة موارده في البحث والتأليف

من المعلوم ان جواد علي المؤرخ كان يمتلك خزانة كبيرة من الكتب لشغفه في اقتنائها ومن هنا كانت مصادره متنوعه في التاريخ والآثار والتراجم والطبقات والبلدانيات واللغة والادب عربية واجنبية وغيرها وقد كانت طريقة توثيقه لما يؤخذ من هذه الموارد [١٨]باربعة طرق:

١- احدها : يذكر عنوان الكتاب واسم مؤلفه ثم يبدأ يذكر النص المأخوذ من الكتاب كقوله : وقد تحدث المؤلف (ديودورس) في كتابه (Hieronymos of Kardia) في حوالي السنة (٣١٢) قبل الميلاد عن حمله انطيغوس على القبائل العربية، وقد اخذ اخباره عن النبط من اقدم الاخبار الواردة في الكتب (الكلاسيكية) عن النبط . فيقول : انهم كانوا في باديء امرهم اعراباً رعاة ماشية ومنهم اصحاب قوافل يتعاطون التجارة [١٩].

٢- الثاني: يذكر اسم المؤلف ثم يذكر كلمة في كتابه هي من غير ان يصرح بعنوان الكتاب وذلك نحو قوله: وقد اطلق (يوسفوس) اسم النبطية (Nebaioth)(٢٠) وتحدث (سترابون) عن النبط [٢١] .

٣- الثالث: يذكر اسم المؤلف من غير ان يذكر أي كلمة بعدها، فلا يذكر (عنوان كتابه) ولا يقول : (في كتابه) وذلك في نحو : (قال حافظ وهبه او (حسين امين) العالم (وليم كسيتوس)، والعالم (رودكر) [٢٢] (Wilhelm Gisenuis) (Rodiger.E).

٤- الرابع: ان يذكر معلومات الترجمة من غير ذكر اسم المؤلف او عنوان كتابه، وإنما يبدأ بسرد المعلومات مباشرة ثم بعد ذلك يعضد هذه المعلومات بنقولاته من الكتب[٢٣].

وكانت موارده في انتاجه العلمي والفكري متنوعة المناشيء والميدان عربية واجنبية ،قديمة ومعاصرة ،مخطوطة ومطبوعة ،فضلا عن الآثار والرقم المادية التي شاهدها في مواقعها او في المتاحف والمكتبات الى جانب المشاهدات والمنقولات والمراسلات والمسموعات والمرويات وغيرها .

– الاسلوب القصصي في رواية الاخبار عند جواد علي

يذكر ان نقد المرويات يعني هو ما يراه من خلال الرواية التي تروى باسلوب قصص واساطير، فيقول مثلاً : وقد ذهب بعض اهل الاخبار إلى ان عاد هي (هدورام) في التوراة، ودليلهم على ذلك اقتران عاد بأيرام في الكتب العربية وبعض القراءات التي قرأت بعاد إرم [٢٤]. ولكن التوراة تشير إلى ان " هدورام" من نسل " قحطان " أي قحطان في الكتب العربية، وهذا لايستقيم مع الروايات .

ويرد " جرجي زيدان " على هذا الاعتراض بقوله " ولعل كاتب سفر الخليفة رأى مقر تلك القبيلة في بلاد اليمن، فقال انها من نسل قحطان[٢٥]. وكثيراً ما ألتبس علماء التوراة في هدورام أو هادرام ومقر نسلهُ، ولم يهتدوا إلى شيء عنه.

وفي الرواية التي ذكرها الطبري في تاريخه عن قوم لوط وسندها مرفوع إلى محمد بن كعب القرضي ذكر للقرى الخمس الواقعة حول سهل دائرة الاردن وقد دعاها بالمؤتفكات المأخوذة من القرآن

الكريم، وفي هذه القرى الخمسة تحريف وتغير في الترتيب الذي وردت به في التوراة [٢٦].

– اهمية الكتابة عن الأعلام

كان من المؤمنين بضرورة كتابة التاريخ عن الاعلام والعاملين ، لما لذلك من اهمية في كشف اسرار ومعلومات تاريخية مهمة، وفي رفع الغُبن عنهم،فإن شطراً كبيراً من حضارتنا لايظهر الا من خلال كتب التراجم ، وإن مصادر التاريخ الإسلامي على نهج الحوليات والحوادث العامة، كتاريخ الطبري، البداية والنهاية، والكامل في التاريخ وغيرها، ليست هي الصورة الكاملة لذلك التاريخ، لذا نراه يسلسل أعلام التاريخ مثلاً ويعطي آرائهم الواحد تلو الآخر والدين، والفلسفة، والشعر والادب فأفرد كتباً مثلاً عن الطبري والمسعودي وابن بطوطة، والادريسي وغيرهم.وأطنب في الحديث عن مئات الاعلام في متفرق كتبه، وعالج في الكتب المفردة هؤلاء الاعلام وآثارهم بأسلوب جدي واضح معتمداً على النصوص في المرتبة الاولى مع الاشارة إلى مصادرها في مصادر الثقافة، وقصد بها الدارسين وهم على عتبة التخصص، ولكنها مفيدة للقاريء العام وتضع في يد المتخصص منهاجاً واضحاً للتوسع في الدراسة.وفي دراسته عن الاعلام دقة في التفكير ، وصحة في التعبير مما يحتاج اليه طالب الاختصاص وهي بتنوع موضوعاتها تلبي طلب الاديب وطالب العلم، والمؤرخ، ودارس الفلسفة وتخط للدراسات المقبلة طريقاً صحيحاً كما انها توجز الجهود الماضية التي قام بها رجال التاريخ ونقاد الادب ورجال العلم.

تعامله مع الخبر المجهول

وقوف جواد علي على امور يقول لانعرف من أمرها في الوقت الحاضر شيئاً كثيراً فمثلاً يقول: وهناك أسماء ألهة لانعرف من أمرها شيئاً في الوقت الحاضر، من بينها الأله : بلو " وقد عبر عنه بأنه إله البلاء والموت والمنون ، وإله يُقال له " حلفن " " حلفان " ويُقال إنه إله القسم والحلف واليمي(٢٧)، والأله " ورفو " وهو إله الحدود، أي الأله المختص بالمحافظة على الحدود ، " ومنضح " و " منضحت"، وهو إله الماء والري و " متبقبط" ، وهو اله الحصاد عند المعينين ثم الأله "يهرهم" وهو إله المطر [٢٨]

٤– قيمة مؤلفاته العالمية

كان للمؤلف جواد علي في مؤلفه تاريخ العرب قبل الإسلام صدى عالمي ويتبين ذلك من خلال صورة كتاب أرسله اليه احد الباحثين الاجانب وهو الدكتور " مشكار آبل " الاستاذ المحاضر في المعهد الشرقي لكلية العلوم والاداب التابعة لجامعة بودابست والمدرس بجامعة " برجيف اتيلا " معهد الالسن ، يخبر فيه رجوعه إلى مؤلفه تاريخ العرب قبل الإسلام مصدراً لوضع اطروحة لنيل دكتوراه ثانية (D.PH.) والذي يطلب فيه الموافقة على الاشراف على اطروحته " (المقاطعات الشرقية لإمبراطورية الروم وصلتها بالعرب حتى تعريب الدواوين) ومطالبته تقديم رأيه عنها إلى الجامعة باعتباره – استاذاً خارجياً للحصول على درجة دكتوراه للمرة الثانية، وقد التمس جواد علي بطلب رسمي إلى جامعة بغداد باعتباره استاذاً في كلية التربية وسكرتيراً للمجمع العلمي العراقي يلتمس من خلاله رأي الجامعة قبل الرد بالموافقة وارسال الموافقة إلى الجامعة المذكورة لكي تتخذ الموافقة والرأي طريقها القانوني وهذه صفة من صفات الدكتور جواد علي باتباع الطرق الاصولية في مخاطباته وعلاقاته العلمية مع المؤسسات والاشخاص المهتمين بالتاريخ [٢٩].

– تعليق واستدلالاته بخصوص تاريخ العرب قبل الاسلام

يتحدث جواد علي عن المؤرخين وإهمالهم أو تهاونهم في تدوين التأريخ الجاهلي فيقول : ((أن القسم القديم من التاريخ الجاهلي والذي يبعد عن الإسلام قرناً فأكثر ، ضعيف وهزيل لا يصح أن نسميه تأريخاً ، وهو بعيد في طبعه عن التاريخ وفي مادته عن طبع التواريخ ومادتها))[٣٠] .

ويقول انهُ : ((لم يظهر التوفيق لدى المؤرخين العرب في كتابه التاريخ الإسلامي ولا حتى التاريخ الجاهلي))[٣١] .ويبين جواد علي بأن : ((المؤرخون العرب لم يطرقوا كل الأبواب أو الموضوعات التي تخص الجاهلية فتركوا فجوات وثغور لم نتمكن من سدها وردمها إلى الآن لاسيما تاريخ جزيرة العرب))[٣٢] .

- **رأيه في كتب التفسير**

يرى جواد علي أن التفسير مصدر آخر من المصادر المساعدة في معرفة تاريخ العرب قبل الاسلام وفيه ثروة تاريخية قيمة تشرح ما جاء مقتضبا في كتاب الله وتبسط ما كان عالقاً باذهان الناس عن الايام التي سبقت الاسلام، وتحكي ما سمعوه، وما وعوه عن القبائل العربية البائدة التي ورد لها ذكر مقتضباً في السور، وما ورد عندهم من احكام وآراء ومعتقدات [٣٣].ويأسف لعدم فهرسة كتب التفسير، وعدم طبعها طبعا حديثا، ويقول: (هي في اجزاء ضخمة عديدة في الغالب، ولهذا صعب على الباحثين الرجوع اليها، لاستخراج ما يحتاج اليه من مادة عن التاريخ الجاهلي، حتى أن المستشرقين المعروفين بصبرهم وبجلدهم وبعدم مبالاتهم بالتعب، لم يأخذوا من معينها إلا قليلا[٣٤].

ونلاحظ أن في كتب التفسير مادة غنية عن نواح عديدة في امور الجاهلية المتصلة بالاسلام. والرواية المسندة هي العنصر الرئيس في كل واحد من الميادين الثلاثة (كتب الحديث، السيرة، والمغازي) التي تعد مصادر لاقوال النبي.

٦- رأيه في كتب الحديث

لكتب الحديث اهمية عند جواد علي فهو يؤكد في منهجه وفي رواياته على اهمية الانتباه إلى كتب الحديث وشروحها والاخذ بها لانها مورد غني من الموارد التي لابد منها لتدوين اخبار الجاهلية المتصلة بالاسلام [٣٥]، اذ نجد فيها امورا تتحدث عن نواح عديدة من احوال الجاهلية، لا نجدها في مورد اخر، فلا بد من الرجوع اليها، والاخذ منها في تدوين تاريخ الجاهلية.

- **خصائص التوثيق عند جواد علي**

يعتقد بان تاريخ الجاهلية [٣٦] هو اضعف قسم كتبه المؤرخون العرب في تاريخ العرب يعوزه التحقيق والتدقيق والغربلة .واكثر ما ذكروه على ان تاريخ هذه الحقبة هو اساطير ،وقصص شعبي ، واخبار اخذت عن اهل الكتاب ولاسيما اليهود ، واشياء وضعها الوضاعون في الاسلام ، لمآرب اقتضتها العواطف والمؤثرات الخاصة. وقد تداول العلماء وغير اصحاب العلم هذه الاخبار على انها تاريخ الجاهلية حتى القرن التاسع عشر ،فلما انتهت الى المستشرقين شكوا في اكثرها ،فتناولوها بالنقد ، استنادا الى طرق البحث الحديثة التي دخلت على العلوم النظرية ، وتفتحت بذلك آفاق واسعة في عالم التاريخ الجاهلي لم تكن معروفة ، ووضعوا الاسس للجادات التي ستوصل عشاق التاريخ الى البحث في تاريخ جزيرة العرب [٣٧].وبناء على ذلك اعتمد في دراسته مصادر تاريخ العرب قبل الاسلام على الوسائل المادية والمكتوبة في التحري عن الحقائق[٣٨]،وفي حالة تعارض الروايات ينهج منهجا عقليا يرجح فيه رأيه ويبقي الباب مفتوحا للاخرين من بعده .كان يشرف على كل كتاباته بنفسهِ حرصاً منه على دقتها غير أنه كان يتقبل النقد من الآخرين ويعطي رأيه ويقول ومن يجد بعدي فليجد وليكمل.

الامانة والدقة

تحلى جواد علي بالامانة التاريخية والدقة فقد قام بتحرى على نطاق واسع عن الحقائق التاريخية، إذ بذل جهدا كبيرا في تلقي الاخبار وتمحيص ما يتعلق بتفصيلات (٣٩) و وجزئياتها، من كتابات من تقدمه ومن اساتذته ومن كل من ادركهم من قبله.لقد نسب الروايات التاريخية والاخبار إلى مصادرها بامانة علمية وباعتماده الاسناد كما هو مفصل في اسلوب العرض التاريخي في المنهج [٤٠]، ولا ننسى بيئته وتربيته الصحيحة التي كان لها الاثرالواضح ولاسيما تأثير المدينة التي نشأ وترعرع فيها إلا وهي الكاظمية المقدسة عليه وعلى سلوكه وتصرفاته.

ونرى في كل مؤلفاته قد استخدم الاسناد الجمعي إذ من فوائده منع تكرار المعلومات وغربلتها ووضع خلاصتها في صياغة واحدة، أي ذكر الخبر التاريخي مرة واحدة لعدد من الرواة دون تكرار المتون والاسانيد، ومن اسس منهجه انه اعطى اهمية خاصة للاخبار التي تعود للمنطقة التي وقع فيها الحادث أو التي شارك فيها سكانها، وينتقد بحرية واصرار تام [٤١].

فيقول مثلا: والذي يهمنا من امر (وهب بن منبه) [٤٢] اخباره عن الجاهلية، ثم يقول: ولوهب اخبار عن اليمن والاقوام العربية البائدة، وينتقد رواية (وهب) ويقول: نجد روايته عن نصارى نجران وتعذيب (ذي نواس) اياهم [٤٣].. ويعطي المؤلف جل اهتمامه باخبار وروايات وهب ويسميهم ويقول : وقصة الراهب (فيميون) مطابقة للروايات النصرانية[٤٤] وما جاء في كتاب شمعون الارشامي.

ويطابق القصة مع الرواية للحادث هذا [٤٥] وهو يعلل مصدر بعض رواياته انه اخذ اخباره المتعلقة بالنصرانية مثل مولد وحياة المسيح من تلك الموارد أو من اتصاله بالنصارى، أما ذكره للعرب البائدة والتبايعة فهو قصص، واما اخبار العرب فعلمه (صفر).

النقوش العربية وغير العربية

يذكر لنا النقوش والكتابات في كتبهِ ويتكلم عن مصادرها فمثلاً يقول :((تعد النقوش والكتابات في طليعة المصادر التي تكون التاريخ الجاهلي، وهي وثائق ذات شأن لأنها الشاهد الناطق الحي الوحيد الباقي من تلك الأيام . وأرغب في تقسيمها على قسمين :

- نقوش وكتابات غير عربية كالنصوص الأشورية أو البابلية .
- نقوش وكتابات عربية كتبت بلهجات مختلفة)[٤٦] .

وتمكن العلماء بفضل النقوش من حل الرموز (المسند) وقام الصيدلي الفرنسي (توماس يوسف آرنو) برحلة إلى اليمن كانت موفقة جداً .واستطاع (تصوير النقوش) واستخدام قسم من الكتابات عام ١٨٨٢ م شاب نمساوي أسمه (سكفريد لنكر) وكان ممن ذهب لليمن[٤٧] .

الكتب الأدبية

يقول في مدح الكتب الأدبية: ((وفي كتب الأدب ثروة تاريخية قيمة مبثوثة في صفحاتها لا تجد لها مثيل ولا مكاناً في كثير من الأحيان في كتب أهل التاريخ عن التاريخ الجاهلي حتى أني لا استطيع ان أقول إنما أوردهُ رجال الأدب عنهُ هو أضعاف أضعاف ما . رواه المؤرخون عن ذلك التاريخ وإنما جاءت به كتب الأدب عن ملوك الحيرة وعن الغساسنة وعن ملوك كندة وعن أخبار القبائل العربية هو أكثر بكثير مما جاءت به كتب التاريخ بل هو أحسن منها عرضاً وصفاءً وأكثر منها دقة ويدل عرضهُ بإسلوبه الأدبي المعروف على أنه مستمد من موارد عربية خالصة ، وقد أخذ من أفواه شهود عيان شهدوا ما تحدثوا عنهُ وقد أفادونا كثيراً في تدوين تاريخ الجاهلية الملاصقة للإسلام))[٤٨] .

منهج جواد علي واسلوبه النقدي

لقد اوجبت العقيدة الاسلامية على الناس أن يبحثوا عن الحق والصدق وان يتمسكوا بهما، لذلك اقتدى المؤرخون المسلمون برجال الحديث [٤٩]، وبتاثير منهم المنهج النقدي لاكتشاف الحقائق التاريخية والوصول إلى الاخبار الصحيحة وقد اختلفت عنايتهم في نقد الاخبار والحكم عليها بتوضيح قوتها أو ضعفها فمنهم من اعتمد سرد الاخبار واستخدم النقد بقلة، ومنهم من اولاه عناية كبيرة،وهو ممن اعتمد النقد والتحليل وطريق العقل في كتاباته كافة والتاريخية فيها بصورة خاصة.

ومن دراستنا لهذه الشخصيه يتبين لنا ما يلي:

١- انه كان مؤرخا وناقدا.

٢- منقحاً لكثير من كتبه وكتاباته، مما يدل على دقته.

٣- الدقة في اختيار الاخبار التاريخية وتنظيمها مرجحا الرواية الصحيحة في كثير من الاحيان ومعقبا ذلك بذكر رأيه فيها.

٤- استخدامه عبارات تبرز رايه الصحيح.

٥- انتقاده بصراحة وجرأة لكثير من سبقه من الاخبارين والرواة امثال ابن الكلبي ووهب وغيرهم.

٦- أن التعبير في هذه العبارات التي ذكرناها شائعة في اسلوب جواد علي في كتاباته إلى حد لم نر ذلك عند غيره من المؤلفين والمؤرخين[٥٠].

العوامل التي ساعدته في هذا النهج:

وقد ساعد في انتهاج هذا النهج عدة عوامل إلا وهي:

١- ما تحلى به من ذكاء ونباهة.

٢- سيره على خط الامانة والدقة.

٣- دراسته للقرآن الكريم والحديث النبوي الشريف.

اسهمت في تكوينه الفكري وبيئته التربوية لاسيما انه نشا في مدينة الكاظمية المقدسة، فكانت دائما دافعا قويا لعنايته بالنقد، ولا غرابة أن نراه قد بذل الجهد في تلقي واختيار وتمحيص كل ما يتعلق بتفصيلات المغازي وجزئياتها الدقيقة من كتابات من تَقدَمهُ من الموارد التالية:

موارد كتابات جواد علي

١- الوثائق كالاصول التي اختبرها بنفسه.

٢- موارد من كتب المستشرقين.

٣- الموارد العربية الاسلامية عن الجاهلية.

٤- موارد من مصنفات في التاريخ.

٥- الصحف التي وقعت بين يديه.

٦- المصادر الاصلية.

٧- سفره الدائم إلى الدول الاوربية واخذ الجديد من اكتشافات المؤرخين الاجانب.

٨- كان دائم السفر إلى اليمن ليأخذ من مواردها ويتعلم لغة اهل الجنوب والشمال ليستخدم الدراسة الميدانية والنظرية وهذا منهج دقيق ليستقرئ المواضع الجغرافية والاثار مما يساعده على التحقق من صحة بعض موارده واخباره.

أن تلك الزيارات الميدانية التي قام بها إلى الدول العربية والاوربية تجعله امام صورة دقيقة عن المكان الذي يعيش فيه مثلا العرب قبل الاسلام أو عرب الجنوب، أو الشمال أو سكان البادية أو الحضر في تلك المناطق، وتمكنه من مشاهدة بعض اثار العرب الجاهلية، مما يقوي عنده بعض الموارد وبعض الروايات، ويبرز نقده أو نهجه النقدي في السند، ونقد الروايات والامانة والدقة واسس انتقاء المادة التاريخية (٥١)

-منهجهُ في كتابة التاريخ

كان يتبع منهجاً خاصاً به في دراسة الاعلام قائماً على إنطلاقها أي يجعل العالم او المؤرخ او الاديب او الشاعر، او الفيلسوف الذي يدرسهُ يتكلم عن نفسهِ ما أمكن ، وثم يورد آراءه بكلامه هو ، لا حسب اقوال أصحاب التراجم لتكون الآراء والتفاصيل اكثر دقة واكثر تفصيلاً ووضوحاً، وقد يورد آراءه من خلال كتاباته ،ومنها كلامه عن بطليموس (٥٢).

ويرى في أن ننسب آراء الاعلام على وجهها، لا أن ننسب اليهم آراءنا نحن، فمثلاً يكتب قوم عن الطبري او عن الطبرسي. في تفسيراتهم فلا ترى فيما يكتبون إلا آراءهم اما رأي المفسرين فيكون غائبا.

ومن خصوصية منهجه انه يدعو الى الابتعاد عن العواطف ما امكن ذلك ،لذا فهو يرى ان يكون المؤرخ كرجل مختبر ،ذا استعداد عظيم في التحليل وذا حظ عظيم من العلم في المواد التي يريد تحليلها ، وذا ذكاء خارق يمكنه من الاستنباط والاستنتاج ، ومن اجراء المقابلات والمطابقات والمفارقات والمقارنات ، لتكون احكامه منطقيه سليمه ، وآرآؤه معقولة مقبولة ،والا صار قاصا من القصاص ،ومؤرخا من هذا الطراز القديم الذي يرى ان التاريخ حفظ ورواية ، وتسجيل لما يرويه الناس ،فهو يسجل كل ما يسمعه ويدون كل ما يقرأه ويعثر عليه في الموارد .

وقد يبدي رأيا في موضوع لمجرد اعتماده على خبر وجده في كتاب او في جملة كتب ، ويقول بأخذ امة من امة لمجرد وجود اشتراك في فكرة او اسم او اسماء او تشابه ما .

وهنا يقول انه لايريد ان ينكر وقوع الاخذ والاقتباس بين الامم والاشخاص ، وانما يدعو الى وجوب التبصر والروية في افعال هذه الاحكام لئلا نتورط في مزالق العجلة وهي من الشيطان .

وعلى الرغم من حفظه لمكانة المستشرقين لجهودهم في الكشف عن تاريخ العرب قبل الاسلام من خلال البحث الآثاري ،لكنه لم يكن موقفه هذا منهم مطلقا ودون حدود ،ذلك انه اخذ على بعض المستشرقين تسرعهم في اصدار الاحكام في تاريخ الاسلام وتأثرهم بعواطفهم ، لاخذهم بالخبر الضعيف في بعض الاحيان ، وحكمهم بموجبه ، ولاصدارهم احكاما بنيت على الالفاظ المشتركة او التشابه ، مع قولهم بوجوب استعمال النقد ، وبأحتراسهم في الامور ، ووجوب التأكد من معرفة الآخذ قبل الحكم عليه .

وآية ذلك ان معظم المستشرقين هم من طبقة رجال الدين ، او من المتخرجين في كليات اللاهوت ، وانهم ان تطرقوا الى الموضوعات الحساسة من الاسلام حاولوا جهد امكانهم ردها الى اصل مسيحي، وطائفة اخرى من اليهود تتحكم في غالبيتهم الصهيونية بعد تأسيس اسرائيل ، يجهدون انفسهم لرد كل ما هو اسلامي وعربي الى اصل يهودي ، وكلا الطائفتين في هذا الباب تبع لسلطان العواطف والاهواء [٥٣].

والذي يؤاخذون المستشرقين على سلوكهم هذا المسلك من النقد يؤاخذون كذلك كل من يحاول من المسلمين كتابة التاريخ متأثرا بعاطفته وهواه ، فهم لايريدون توجيه اللوم الى المستشرقين وحدهم لتأثرهم بعاطفتهم ثم يتركون من يركب هذا المركب من الشرقيين دون لوم وممن دعا الى هذا التوازن بالنقد الشيخ محمد الخضري بكتابه المشهور (محاضرات تاريخ الامم الاسلامية).

ثم يتلمس شيئا آخر في منهجه ، فهو يرى ان المؤرخ يخضع في كثير من الاحيان الى سلطان الرأي العام ، مما يضطره بحكم مقامه بين مواطنيه ان يراعي شعورهم والا عرض نفسه للمكروه من قول او اذى ، ولهذا يضطر ان يمر بالقضايا الحساسة مرا خفيفا ، او دون نقد او ابداء رأي .

الهوامش

(١) العمري ،هناء ،المؤلف والصحفي الموهوب جواد على ،مجلة افاق عربية ،العدد١٠ لسنة١٩٨٥م،ص٧٤وما بعدها ؛المطبعي ،حميد ،موسوعة المفكرين والادبا ،ص١) اضبارته الشخصية الموجودة في المجمع العلمي العراقي مليئة بالجهود القيمة التي اداها في باب الترجمة واللغة.

(٢) وعرف أيضاً خط المسند وكان بارعاً في قراءة المخطوطات القديمة. اضبارته الشخصية مليئة بالجهود القيمة التي اداها في باب الترجمة واللغة.

(٣) مجلد موجود في المجمع العلمي العراقي (موارد الطبري والمسعودي).

(٤) في الاضبارة الشخصية كتب محفوظة تبين عمله في هذه المجلة.

(٥) وعرف أيضاً خط المسند وكان بارعاً في قراءة المخطوطات القديمة. اضبارته الشخصية مليئة بالجهود القيمة التي اداها في باب الترجمة واللغة.

(٦) مجلد موجود في المجمع العلمي العراقي (موارد الطبري والمسعودي).

(٧) في الاضبارة الشخصية كتب محفوظة تبين عمله في هذه المجلة.

(٨) وهذا يتبين في كتب جواد علي نذكر منها على سبيل المثال: المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام وهو بعشرة اجزاء، وتاريخ العرب في الاسلام والمهدي والسفراء الاربعة.

(٩) الرحيم،عبد الحسين مهدي ،المؤرخ العليم والصحفي الموهوب المرحوم جواد علي ،بحث مقدم الى مؤسسة المدى بمناسبة احيا ذكرى الفقيد – تفا صيل في حياة المرحوم جواد علي وكان اصل محاضرة في بيت الحكمة ض٧

(١٠) هذه الكتب وجميع مؤلفاته معروضة في المكتبات منها (المركزيه ،الوطنية،مكتبة المتحف) وفي المكتبات الخاصة .

(١١) علي، جواد، مثلنا الاعلى، كتاب في دار الكتب والوثائق، قسم التزويد، تصحيح: جواد علي، بغداد، وزارة المعارف، المسرحيات العربية، العراق، ١٣٥٢هـ - ١٩٣٤م.

(١٢) العمري،هناء،المؤلف والصحفي ،مجلة افاق عربية،العدد١٠ لسنة ١٩٨٥م،ص٧٤-٨٠؛ المطبعي ، موسوعة المفكرين ،ص٩٩ ومابعدها .

(١٣) العمري،هناء،المؤلف والصحفي ،مجلة افاق عربية،العدد١٠ لسنة ١٩٨٥م،ص٧٤-٨٠؛ المطبعي ، موسوعة المفكرين ،ص٩٩ ومابعدها .

(١٤) الاثري ،محمد بهجت ،يرثي جواد علي ،مجلة الف باء ،ص٥٢-٥٣ .

(١٥) الاثري ،محمد بهجت ،يرثي جواد علي ،مجلة الف باء ،ص٥٢-٥٣ .

(١٦) علي، جواد، تاريخ الصلاة في الاسلام، مطبعة ضياء، بغداد، ط٢، (بلا.ت)، ص١١.

(١٧) المقريزي، احمد بن علي بن عبد القادر ،(ت ٨٤٥هـ- ١٤٤١م)، امتاع الاسماع، تحقيق: محمد عبد الحميد ،مطبعة دار الكتب العلمية ،بيروت ،١٤٢٠هـ-١٩٩٩م ،ط١، ج١، ص١٧.

(١٨) البلاذري، ابو العباس، احمد بن يحيى بن جابر ،(ت ٢٧٩هـ- ٨٩٢م)، انساب الاشراف، تحقيق: محمد بافر المحمودي , مطبعة الاعلمي , بيروت , ط ١٣٩٤ هـ , ١٩٧٤م ط١,ج١,ص١٣.

(١٩) في الاضبارة الشخصية للدكتور المرحوم جواد علي اطلعتُ على تقرير كتبهُ الدكتور بخط يده في ٣/٦/١٩٥٨م يوضح فيه انه قد استعار كتباً للمراجعة فيها واعادها إلى مكتبة او خزانة المجمع ومن هذه الكتب يذكر شخصياً : معجم البلدان للحموي ، وتفسير الطبري، تفسير الآلوسي، والكشاف، وكتب الصحاح ودائرة المعارف الإسلامية باللغة الانكليزية، Corpuo المؤلفة من اجزاء عديدة، المعجمات، لسان العرب، والقاموس، وتاج العروس، المعجمات الانكليزية، والفرنسية، والالمانية، والفارسية نهاية الارب للنويري، طبقات ابن سعد، بلوغ الارب للألوسي، ديوان الهذليين ، صحيح البخاري .

(٢٠) د. علي ، جواد ، المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام، مطبعة جامعة بغداد ،١٤١٣هـ_ ١٩٩٣م ،بغداد ، ط ٢ ،ج٣، ص ١٧ ويقول كذلك (وصف سترابو النبط وقال: انهم تجار، اقاموا في بيوت من الحجر واشتغل قوم منهم بالزراعة). في المفصل ، ج٣، ص ٥٣، عن بئر من آبار صنعاء في صورة له ويذكر تحت الصورة اسم المؤلف واسم الكتاب.

(٢١) علي ، جواد ، المفصل ، ج٣ ، ص ١٦.

(٢٢) علي ، جواد ، المفصل ، ج٣ ، ص ١٤.

(٢٣) علي ، جواد ، المفصل ، ج١ ، ص ١٧٢.

(٢٤) علي ، جواد ، المفصل ، ج١ ، ص ١٧٢.

[٢٥] في الآية ((ألم تر كيف فعل ربك بعاد.ارم ذات العماد)) سورة الفجر،الاية ٦ – ٧ على الاضافة او مفتوحتين او بسكون الراء على التخفيف او بأضافة إرم إلى ذات العماد وبين عاد إرم و " هدورام " تشابه كبير في النطق .

[٢٦] لأن مقام عاد في الاحقاف بين حضرموت واليمن. (نقلا عن جواد علي).

[٢٧] ((والمؤتفكة أهوى)) وهي (صبعة، وصعرة، وعمرة، ودوما وسدوم) حسب رواية الطبري.علي ،جواد،المفصل،ج١،الفصل الثامن ،ص٣٣٣ وما بعدها.

[٢٨] علي ، جواد ، اصنام الكتابات ،دار الوراق للنشر والتوزيع ،مطبعة الوراق ،بيروت،٢٠٠٧م،ط١، ص ٣٤ .

[٢٩] علي ، جواد ، اصنام الكتابات ، ص ٣٥ ؛نقلا عن جواد علي: Grohmann, S.246.

[٣٠] كتاب مفاتحة الجامعة ذي الرقم ٥٦٧ في ١٠/٧/١٩٦١ م في اضبارة جواد علي الشخصية في المجمع العلمي العراقي.

[٣١] علي، جواد، المفصل ، ج١ ، ص٤٢.

[٣٢] بالنسبة للتاريخ الإسلامي : لم يوفق فيه المؤرخون العرب من حيث العناية بجمع الروايات والأخبار واستقصائها ورغبتهم في التمحيص بينما افتقر التاريخ الجاهلي الى التدوين .

[٣٣] علي، جواد، المفصل ، ج١ ، ص٤٣– ٤٤ .

[٣٤] علي، جواد، المفصل، ج١، ص٦٧. وقارنه بـ: ابن النديم، محمد بن اسحاق (ت٣٨٥هـ)، كتاب الفهرست، تحقيق: ناهدة عباس، اليمامة، دار قطري بن الفجاءة، وقارنه بـ: المغازي.

[٣٥] المستشرق يوسف هوروفتس، الالمغازي الاولى ومؤلفوها، ، ترجمة: د. حسين نصار، مطبعة الخانجي، القاهرة، ١٤٢١هـ- ١٩٨٥م ،ط٢،٢٠٠١م، ص١٧.

[٣٦] علي، جواد، المفصل، ج١، ص٦٧. وقارنه بـ: صحيح البخاري، محمد بن اسماعيل (ت٢٥٦هـ)، وصحيح مسلم بن الحجاج (ت٢٦١هـ)، والجامع الصحيح وهو سنن الترمذي محمد بن عيسى (ت٢٩٧هـ).

[٣٧] معنى الجاهلية عند جواد علي هي : من السفه والحمق والانفة والخفة والغضب وعدم الانقياد لحكم وشريعة وارادة الهية وما الى ذلك من حالات انتقصها الاسلام ٠ علي ،جواد، المفصل، ج١،ص٤٠.

[٣٨] علي،جواد،المفصل ،ج١،ص٤٢.

[٤٠] ذكر جواد علي في المفصل (النقوش والكتابات ، التوراة والتلموذ والكتب العبرانية الاخرى،الكتب اليونانية واللاتينية والسريانية ونحوها،المصادر العربية والاسلامية وفي مقدمتها القرآن الكريم والحديث الشريف والتفسير.علي،جواد،المفضل في تاريخ العرب ، ج١ ض٤٤ ٠

[٤١] انظر سيرة ابن اسحاق، أو عن سيرة ابن اسحاق ينظر: هورفيتس ،يوسف ،المغازي الاولى ومؤلفوها، ترجمة :د.حسين نصار، مطبعة الخانجي ،القاهرة ،١٤٢١هـ –٢٠٠١م، ط٢ ، ص٩١ وما بعدها.

[٤٢] انظر:ابن سيد الناس،ابو الفتح محمد بن محمد بن محمد بن عبد الله الاندلسي اليعمري، (ت٧٣٤هـ)،عيون الاثر في فنون المغازي والشمائل والسير،مطبعة دار الجيل ، بيروت، ١٩٧٤م،(بلا.ط)، ص٥ وما بعدها.

[٤٣] ولد وهب في صنعاء وقيل انه كان من الابناء وكان فقيها وتولى قضاء صنعاء، ويقول ياقوت انه توفي وهو قاض بها سنة ١١٤هـ، ص٧٣٢م، وقيل انه زيادة على اشتغاله بتاريخ ما قبل الاسلام، عني بدراسة العقائد، وألف كتاب في القدر ثم ندم عليه. بروكلمان،كارل،تاريخ الادب العربي،ترجمة :د.عبد الحليم النجار،مطبعة دار المعارف،القاهرة،(بلا.ط)،(بلا.ت)، ص٢٥١ عن وهب بن منبه ينظر: المغازي الاولى ومؤلفوها للمستشرق: يوسف هوروفيتس، ص٤٣–٥٣.

[٤٤] الطبري،محمد بن جرير،ت٣١٠هـ ،تاريخ الرسل والملوك،تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم ،مطبعة دار المعارف ،القاهرة ، ج ص١٠٢، ونجد انه اخذ هذه القصة من السيرة النبوية لابن اسحاق كتاب التيجان، ص٢٩٣–٢٩٤.

[٤٥] ان القصة التي ذكرها الطبري عن انتشار النصرانية في اليمن وعن تعذيب ذي نواس لهم واجبارهم على النهود وتحريفهم بالنار وقصة الراهب فيمون قد اخذها من ابن اسحاق، واخذها ابن اسحاق عن المغيرة بن ابي لبيد مولى الاخفس عن وهب بن منبه وعن يزيد ابن زياد عن محمد بن كعب القرظي ومن جماعة من اهل نجران، وهي تقارب الرواية النصرانية التي الفت عن الشهداء المسيحيين. د. جواد، موارد تاريخ الطبري، ص٣٥–٣٦.

[٤٦] الطبري، ج٢، ص١٠٣ –١٠٤.

[٤٧] علي، جواد، المفصل ، ج١ ، ص٤٤ ، وما بعدها .

[٤٨] علي، جواد، المفصل ، ج١ ، ص٧٢ ، ومصادر التاريخ الجاهلي، علي ، جواد ، المفصل ، \ج١ ، ص٦٦.

[٤٩] ذكر الدكتور هاشم الطعان بعض الظواهر اللهجية عند القبائل العربية المختلفة كانت عيوبا تبعد عن الفصاحة منها الكشكشة، الشنشنة، العنعنة، العجعجة، الغمغمة، التلتلة، الفحفحة، الطمطمانية، الاستنطاء، الوتم، الوكم، الوهم ، اللخلخانية، العجرفية، القطعة، الفراتية، التضجع، الهمز، الادغام، الامالة والتفخيم، فعل وافعل، التذكير والتأنيث، المثنى، الجموع .

الى جانب المئات من الظواهر اللهجية التي تتعلق بالترادف والتضاد وتغيير الحركة او مدها ،للاطلاع على التفاصيل يراجع :الادب الجاهلي بين لهجات القبائل واللغة الموحدة ،منشورات وزارة الثقافة والفنون ،الجمهورية العراقية،سلسلة دراسات (١٥٢) ،١٩٧٨م ،ص١٥٣– ١٦١

[٥٠] فيما يتعلق باثر تدوين الحديث على التاريخ الاسلامي راجع: الدوري،عبد العزيز ،تاريخ العراق الاقتصادي ،مطبعة المعارف،بغداد،١٣٦٧هـ – ١٩٤٨م،ط١.

[٥١] كان هذا رأي من خلال اطلاعي على كتبه لاسيما المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام ودراستي لآراء المفكرين والمؤرخين والادباء ممن التقيت بهم أو قرأت لهم في ذكر ارائهم عن جواد علي.

[٥٢] وقد اشير إلى العربية السعيدة والعربية الصحراوية في الموارد الكلاسيكية القديمة مثل جغرافية سترابون ، ويرى بعض العلماء ان القسم الثالث وهو (العربية الصخرية) هو من اضافة بطليموس العالم الجغرافي الشهير، وقد قصد به برية شبه جزيرة سيناء وما يتصل بها من فلسطين إلى الاردن. فهو في رأي هؤلاء احدث عهداً في التسمية من التسميتين

[٥٣] علي ، جواد ،تاريخ العرب في الاسلام ،ص٧ وما بعدها تفاصيل

المصادر والمراجع

- القران الكريم.
- البلاذري، ابو العباس، احمد بن يحيى بن جابر ،(ت ٢٧٩هـ-٨٩٢م)، انساب الاشراف، تحقيق: محمد باقر المحمودي , مطبعة الاعلمي , بيروت , ط ١٣٩٤ هـ , ١٩٧٤م ط١,ج١,ص١٣.
- ابن سيد الناس،ابو الفتح محمد بن محمد بن محمد بن عبد الله الاندلسي اليعمري، (ت٧٣٤هـ)،عيون الاثر في فنون المغازي والشمائل والسير،مطبعة دار الجيل ، بيروت، ١٩٧٤م.
- الطبري ،محمد بن جرير ،(ت٣١٠هـ-٩٢٢م)،تاريخ الرسل والملوك ،تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم ،مطبعة دار المعارف ،القاهرة ،(بلا.ط)،ج١.
- المقريزي، احمد بن علي بن عبد القادر ،(ت ٨٤٥هـ- ١٤٤١م)، امتاع الاسماع، تحقيق: محمد عبد الحميد ،مطبعة دار الكتب العلمية ،بيروت ،١٤٢٠هـ-١٩٩٩م ،ط١، ج١.
- **علي ،جواد ،تاريخ الصلاة في الاسلام ،مطبعة ضياء ،بغداد،٢٠٠٧م،ط٣.**

اصنام الكتابات ،دار الوراق للنشر والتوزيع ،بيروت ،ط١ ،٢٠٠٧م.

مثلنا الاعلى ،مطبعة دار الكتب والوثائق ،بغداد،وزارة المعارف-المسرحيات العربية ،العراق ،١٣٥٢هـ-١٩٣٤م.

تاريخ العرب في الاسلام ،السيرة النبوية،مطبعة الزعيم ،بغداد،١٩٦١م

المهدي المنتظر عند الشيعة الاثني عشرية ،ترجمة عن الالمانية: د.ابو العيد دودو ،منشورات الجمل ،المانيا،٢٠٠٥م،ط١

- الرحيم ،عبد الحسين مهدي (الدكتور)،المؤرخ العليم والصحفي الموهوب.
- العمري ،هناء ،المؤلف والصحفي الموهوب جواد ،مجلة افاق عربية ،العدد١٠ لسنة١٩٨٥م،ص٧٤وما بعدها ؛المطبعي ،حميد ،موسوعة المفكرين.
- الدوري،عبد العزيز ،تاريخ العراق الاقتصادي ،مطبعة المعارف،بغداد،١٣٦٧هـ - ١٩٤٨م،ط١.
- المستشرق يوسف هوروفتس، الالمغازي الاولى ومؤلفوها، ، ترجمة: د. حسين نصار، مطبعة الخانجي، القاهرة، ١٤٢١هـ- ١٩٨٥م ،ط٢٠٠١،٢م، ص١٧.
- بروكلمان،كارل،تاريخ الادب العربي،ترجمة :د.عبد الحليم النجار،مطبعة دار المعارف،القاهرة.
- الشرق الاوسط (جريدة العرب الدولية)، للكاتب رشيد الخيون، الاربعاء ٤ ذي العقدة ١٤٢٨هـ/ ١٤ تشرين الثاني ٢٠٠٧، العدد ١٠٥٧٨.
- الاثري ،محمد بهجت ،يرثي جواد علي ،مجلة الف باء ،ص٥٢-٥٣.

ABSTRACT

To start with, it is worth saying that Jawad Ali is a truly native Arab man who was born in 1907 AD. and died in 1987.Jawad Ali, in fact, has a great effect in the society where he lived and in the high school of teachers where he studied. He used to study and write than to enjoy his social life , look for knowledge , buy all the precious books and resources specially those related to his specialization i.e., history, and get every piece of knowledge he found and never waste it..

Jawad Ali wrote approximately 102 research and translated 85 books some of which are available but others are not .He showed a real interest in writing prose and poetry ,and mainly focused on geography, agriculture etc..Essentially, it must be said that all those who knew Jawad Ali and met him said that he was a man of deeds.

Jawad Ali is known by his book "AL-Mufasal of Arabs History in the Pre-Islamic Period" He wrote this book on chapters and finished writing it within forty years .Each chapter deals with a specific field concerning the life of Arabs in the pre-Islamic period i.e., the religious field and the social field .

Jawad Ali wrote other books some of which are bulky others are not.

In his writings, Jawad Ali depended on books, letters, personal experience and other resources .However ,he depended on more than 700 recourses known eight by its author or by its title and also on pictures and stones of different historical ages..In addition to that, he translated some of the valuable books from: French, English, German, Persian and Latin into Arabic.

Jawad Ali wrote on different topics i.e., the pre-Islamic period, Arabs and the Islamic period , pray ,AL-Mahdi and his four messengers and other topics.

Academically, "AL-Mufasal " is one of his best books ,it might have some slips but still it represents the history of the pre-Islamic period and reflect it greatly .The title of the book goes inline with its contents and no researcher can ignore the valuable information found in it .Jawad Ali wrote this book to be one of the extra ordinary resources that must be read by any historian or student of history To sum up, it is wort noting that Jawad Ali did his best to write"AL Mufasal" in a way that makes it a star in the sky of history.